إسهام المثال في تيسير القواعد النحوية

الكلمات المفتاحية: (المثال، القواعد النحوية، النحو)

أ.م.د.حيدر عبد الزهرة التميمي
كلية التربية ابن رشد
جامعة بغداد

أ.م.د.بان صالح مهدي
كلية التربية للبنات
جامعة بغداد

The Example Contribution to Facilitate the Grammatical Rules

Keywords: (example, grammatical rules, syntax)

Assistant Professor
Dr Ban Saleh Mahdi
College of Education for Women

Assistant Professor
Dr Haidar Abdul-Zahra Al-Tamimi
College of Education Ibn Rushd for Human sciences

الملخص:

تتلخص فكرة هذا البحث في الاستعانة بالأمثلة المصنوعة المستعملة في كتب النحو العربي لتيسير القواعد النحوية التي يعاني منها المعلمون والمتعلمون . وذلك عن طريق جعل الأمثلة قريبة من الواقع الاجتماعي ، مألوفة لدى المتعلمين غير بعيدة عن الذوق الاجتماعي . وبذلك نحافظ على أمرين :

الأول : منهما الحفاظ على أصل القواعد .

والثاني : صياغتها بطريقة تتلاءم مع روح العصر .

Abstract:

Summed up the idea here find ask for help from the examples made Used in the books of Arabic grammar to facilitate the grammatical rules experienced by teachers and learners , and by making the examples close to the social reality and thereby maintain the origin rules and the second formulated in a manner appropriate to the spirit of the times .

توطئة :

الحمدُ للهِ ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، حبيبِ إله العالمين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المنتجبين الزاكين .

أمّا بعد :

إن ارتباط علم النحو ونشأته بكتاب الله المقدّس القرآن الكريم وضع هذا العلم في مكانة عالية في نفوس العرب والمسلمين . ولعلو مكانته دأب العلماء على كتابة مصنفاتهم فيه ، وانشغل طلاب العلم بتعلمه ودراسة قواعده ، وتوازي حجم التأليف في هذا العلم ، وعدد المصنفات فيه صعوبات يواجهها مريدوه . ولم تكن المعاناة من تعلم النحو وليدة العصر الحديث بل إنّها قديمة قدم التأليف فيه . وهذا ما دفع طائفة من العلماء إلى أن يصبوا عنايتهم ، ويحاولوا تلمس سبلاً ناجعة لإصلاحه وتيسيره . فرأى طائفة أن تُهدم قواعد النحو العربي ويبنى على أنقاضها نحو جديد وهذا ما لا تتفق معه نفوس الذين يقدسون هذا العلم ويكبرون جهود النحويين فيه . لكننا نحسب أن كلّ علم وليس النحو وحده يجب أن تكون قواعده متوائمة مع التطورات التي تصيب المجتمعات والواقع الثقافي الذي يتغير على مر العصور . فلو إننا تلمسنا سبلاً حققت لنا ذلك في قواعد النحو العربي لاستطعنا أن نخفف من حدة الصعوبات التي يعانيها متعلمو هذا العلم .

ومن هذا المنطلق توجهت الأنظار نحو طبيعة المثال النحوي الذي يُتمثل به لتجسيد القاعدة النحوية وترسيخها في أذهان المتعلمين ، وتقويم طبيعة هذا المثال ، ومحاولة رصد الأمثلة الواقعة في كتب النحو ، وتقويم دورها في إبراز القواعد النحوية ، ومدى إفادة المتعلم من ذلك المثال ، أو مدى إسهام المثال في توضيح القاعدة النحوية .

وبحسب هذا المسار في التفكير اللغوي وجدنا أن الأمثلة التي صاغها النحويون في كتبهم لتوضيح القواعد النحوية وشرحها تحتاج إلى دراسة مستفيضة للوقوف على تفاصيلها ، وسماتها ، وأهم ملامحها ، وأسباب اختيارها في مواضعها التي وردت فيها .

وسوف تكون مهمة هذا البحث رصد الأمثلة النحوية المصنوعة التي ضمتها كتب النحو القديمة مما بدا فيها جانب اجتماعي عبّرت عنه وبرزت واقع أهل اللغة التي كانت قواعد النحو تعالج لغتهم ، وتصنف لأجلها المصنفات النحوية . ومن ثمّ عرجنا على كتب النحو النحوية الحديثة لنقيم طبيعة المثال فيها وبعد هذه الاطلالة على مسيرة التأليف في كتب النحو جاءت خاتمة البحث في رؤية تقويمية نقدية لواقع المثال في الكتب النحوية .

ولا بدّ قبل الشروع في الحديث عن طبيعة المثال في الكتب النحوية أن نشير إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي له .

فالمثال في اللغة يراد به القالب . فقد قال عنه ابن منظور في مادة (مثل) : ((والمثال القالب الذي يقدّر على مثله ... ومثّل له الشيء صوّره حتى كأنّه يُنظر إليه ، وامتثله هو تصوره ... ومثّلت له كذا تمثيلاً : إذا صورت له مثالاً بكتابة أو غيرها ... ومثل الشيء بالشيء : سواه وشبهه به ، وجعله مثله وعلى مثاله .))[١]

وفي موضع آخر قال : ((والمِثال ما يُذكر لإيضاح القاعدة ، وإيصالها إلى فهم المستفيد ولو بمثال مصنوع))[٢] .

أمّا اصطلاحاً فقد عرّفه التهانوي بقوله : ((المِثال : بالكسر يطلق على الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة ، وإيصاله إلى فهمٍ مستفيد كما يقال : الفاعل ومثاله (زيد) في (ضرب زيد)))[٣]

فالمثال غرضه توضيح القواعد ، وإيصالها إلى المتعلمين بأمثلة مما يفهمون من الأمور التي تحيط بهم . لأنّها قريبة من حياتهم يألفونها ، ويفهمونها ؛ لذلك يستعين بها النحويون لتكون مُعيناً لهم لتبسيط القواعد النحوية وتيسيرها .

المثال المصنوع عند القدماء .[٤]

فالعلاقة بين اللغة والمجتمع علاقة وثيقة وبسبب هذه العلاقة ((أصبح جزءاً من المباحث اللغوية يُدرس في علم الاجتماع وهو أمر دعا إلى أن يتفرع من علم الاجتماع علم جديد آخذٌ بالاستقلال ، والتطور يدعى علم اللغة الاجتماعي هدفه الكشف عن العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية ، وأثر تلك الحياة في الظواهر اللغوية المختلفة))[٥]

فهذا العلم يركز على العلاقة القائمة بين اللغة وكل عناصر المجتمع فهو ((يستمد مسوغات وجوده من علاقة اللغة بالمجتمع ، ومن تأثر أحدهما بالآخر . فكل لغة تعدّ مرآة المجتمع الذي يتكلمها ، تظهر على صفحتها ما يتسم به ذلك المجتمع من حضارة أو بداوة ، ومن رقي أو انحطاط ، وما يخضع له من نظم وعقائد ، واتجاهات فكرية وفنيّة واقتصادية وغير ذلك .))[٦] . فضلاً عن أنّه يهتم بدراسة تأثير جميع جوانب المجتمع، ويتضمن ذلك المعايير الثقافية والتوقعات والبيئة وطريقة استخدام اللغة والآثار المترتبة على استخدام اللغة في المجتمع.

ومن أهم الأهداف التي يسعى إليها علم اللغة الاجتماعي ((الكشف عن العلاقات بين اللغة ، والحياة الاجتماعية ، وأثر تلك الحياة في الظواهر اللغوية المختلفة))[٧]

فبوساطة اللغة لأيّ مجتمع نستطيع أن نستشف عاداته ، وطرائق تفكيره ؛ لأنّها أصدق سجل لتاريخ الأمم والشعوب إذا ما سجلنا ، ودوّنا تاريخ هذه اللغات ، وربطها بالمجتمع الذي كانت فيه .

ولأنّ المثال مأخوذ من اللغة ، ولأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية فلابدّ أن يكون معبراً عن الواقع الاجتماعي لأهل تلك اللغة . فاللغة وسيلة التخاطب بين أبناء المجتمع في كلّ وقت ، وفي كلّ زمن . وهي من أهم الوسائل التي بوساطتها نستطيع أن نتعرّف على حياة الأمم .

فإذا ما تتبعنا مسيرة المثال في الكتب النحوية مبتدئين بمن كان له قصب السبق في تأسيس المثال النحوي المتمثل في كتاب سيبويه لوجدنا أن المثال الذي أتى به سيبويه كان قريباً من واقع المتعلم ومن الواقع الاجتماعي في ذلك الوقت فهو

يستقي أمثلته من البيئة التي يعيش فيها لأنه أدرك أنّ المثال كلما كان قريباً من واقع المتعلم أسهم في توضيح القاعدة النحوية وترسيخها في ذهن المتعلم .

فقد كان سيبويه مراعيا في استعماله المثال النحوي المصنوع الجانب الاجتماعي والديني والاقتصادي . فعبّرت الأمثلة في كتابه خير تعبير عن البيئة التي يعيش فيها ، وصورت خير تصوير ما كان يدور في هذه البيئة ، وطبيعة الحياة التي كانوا يعيشون فيها . فكثيرا ما كانت تتردد في أمثلته عناصر البيئة في ذلك الوقت ومنها :

- **الفارس :**

الذي ورد ذكره في أكثر من موطن من المواطن التي مثّل بها النحويون في مواضع متفرقة من كتبهم [٨] ، وقد استعملوا هذا العنصر لكونه يحمل صفة معروفة غير مجهولة في مجتمعهم آنذاك لكونه رمزاً يحتفى به ويحمل مكانة مرموقة . فالفارس في بيئتهم يمثل رمز الشجاعة والبطولة وبما أن العرب تضع الفارس في مقدمة أفراد المجتمع لما يمثله عندهم من قوة تدفع عنهم الأعداء ، فكلّما كثر الفرسان عندهم كلّما كانت النظرة إلى هذا المجتمع العربي نظرة قوية تمثل القوة والشجاعة .

- **الجارية :**

ومن عناصر المجتمع اللغوي عُرف لدى أبنائه ، واشتهر بينهم لفظة التي أفاد منها النحويون لشهرته ولكونه مألوفاً بين أبناء بيئتهم . فقد مثّلت الجارية عنصراً من عناصر المجتمع العربي آنذاك ، فكان العربي يستعين بالجارية في أمور حياتية مختلفة فهي إذ يلقى على عاتقها مسؤليات عدّة . ولأجل هذا عّدت ممّا يألفه المجتمع العربي آنذاك وقد أدرك النحويون هذا الأمر فبرز ذكر هذه اللفظة في أمثلتهم . وورد استعمالها في أمثلتهم في أكثر من كتاب نحوي في مواضع متفرقة وموضوعات متباينة [٩]

- **العبد :**

ولأنّ العبد يمثّل عنصراً آخر من عناصر المجتمع العربي فقد ذكره النحويون في أمثلتهم[١٠] .

- **الحيوانات :**

ولم تكن الحيوانات بمنأى عن فكر النحويين وإنّما كانت الأداة الثانية التي استعملوها بعد عناصر المجتمع لتوضيح القواعد النحوية فكلّ حيوان كان له أثرٌ في بيئته سخّره النحويون في أمثلتهم ، وذلك نحو : الإبل [١١] و الشاة [١٢] . والحمار[١٣] ، والناقة [١٤] ، و الدابة [١٥]

- العملة :

ولأنّ الأمثلة كانت مرآة للواقع الاجتماعي الذي أُلفت فيه الكتب النحوية فقد برّزت طبيعة تعاملهم **بالعملة** التي كانت متداولة في وقتهم [١٦]، فقد بيّنت الأمثلة النحوية الأنواع المستعملة منها ، وسماتها ، وما يميّز كلّ منها عن غيره .

فقد كان لون العملة هو الفيصل في تحديد نوعها ، ومقدارها . إذ كانت الفضة التي يشار لها بالبياض تدل على الدراهم ، والذهب الذي يحمل اللون الأصفر يدل على الدنانير .

- **المقاييس والأوزان :**

ونجد في أمثلة النحويين أنواعاً من المقاييس كانت مستعملة في بيئتهم ، وبوساطة هذه الأمثلة عرفنا هذه الأنواع من المقاييس ، نحو :

الراقود وهو ((دن طويل الأسفل ، كهيئة الإردبة يسيع داخله بالقار والجمع الرواقيد))[١٧] ذكره النحويون في مجموعة من المواضع [١٨] .

والرطل ((الذي يوزن به ويكال))[١٩] ويعادل ((اثنتى عشرة أوقية والأوقية أربعون درهماً فتلك أربعمائة وثمانون درهماً))[٢٠]

كان له ذكر في مجموعة من المواضع في كتب النحو [٢١] . د

والمنوان : ((الذي يوزن به بفتح الميم مقصور يكتب بالألف والمكيال الذي يكيلون به السمن وغيره))[٢٢] . وقد عرضه النحويون في أمثلتهم [٢٣]

والقفيز : الذي يمثل ((مقدار من مساحة الأرض ، والقفيز من المكاييل وهي ثمانية مكاييل عند أهل العراق ، وهو من الأرض مائة وأربع وأربعين ذراعاً ، وقيل هو مكيال تواضع الناس عليه))[٢٤] . ذكره غير واحد من النحويين في أمثلتهم [٢٥]

والفرسخ الذي عرفه الزمخشري بقوله : ((الفرسخ ثلاثة أميال أو ستة))[٢٦] وقد ذكره النحويون ضمن أمثلتهم [٢٧]

- **الظواهر الاجتماعية :**

وعلاوة على ما ضمت الأمثلة التي استعملها النحويون القدماء من مظاهر اجتماعية ، وحيوانات ألفتها حياتهم ، ومجموعة من المقاييس والأوزان التي كانوا يستعملونها . أشارت أمثلتهم إلى طائفة من الظواهر التي كانت مألوفة في حينها يعرفها الذين عاشوا في تلك الحقبة من الزمن . أعني المدة التي ألفت فيها المصنفات النحوية ـ فلم تكن الظواهر الاجتماعية بمنأى عن الأمثلة التي استقاها النحويون لتوضيح قواعدهم فعالج قسم منها ظواهر من صميم واقعهم الاجتماعي ، وذلك نحو:

قعد القرفصاء :

والتي تعني ((ضرب من القعود يمد ويقصر ، فإذا قلت قعد فلان القرفصاء فكأنّك قلت : قعد قعوداً مخصوصاً وهو أن يجلس على آليته ، ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه يضعها على ساقيه كما يحتبي الثوب تكون يداه مكان الثوب وقال أبو المهدي هو أن يجلس على ركبتيه منكباً ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه وهي جلسة الأعراب))[٢٨]

الصماء :

واشتمل الصمّاء و يراد بها ((أن يجلل جسده بثوبه نحو شملة الأعراب بأكسيتهم وهو أن يرد الانسان الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى ، وعاتقه الأيسر ثمّ يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعاً))[٢٩]

رجع القهقرى :

ورجع القهقرى [٣٠] والمقصود منها : ((الرجوع إلى خلف فإذا قلت رجعت القهقرى فكأنّك قلت رجعت الرجوع الذي يعرف بهذا الاسم لأنّ القهقرى ضرب من الرجوع وقهقر الرجل في مشيته فعل ذلك وتقهقر تراجع إلى قفاه))[٣١]

فالمثال الذي استعمله النحويون لتوضيح القاعدة النحوية جاء من وحي ما عُرف من بيئتهم من قعدة كانت بمثابة صفة الأعراب وما اشتهر عنهم ، فكان المثال المستعمل في كتب النحو مجسدا لصفة من صفات العرب .

ونستنتج مما سبق أنّ الأمثلة الموجودة في الكتب النحوية قد تناقلها العلماء واحداً تلو الآخر من كتاب سيبويه فنجد القدامى عيالاً على سيبويه في توظيف أمثلته ذاتها التي وظّفها لتيسير القواعد النحوية ، ولم نجد فيها سوى تغيير طفيف إذ كانت العناصر التي وظّفها في أمثلته هي ذاتها التي وظفها من بعده في أمثلتهم .

المثال المصنوع عند المحدثين .

ومما مر يتبين جلياً إن المثال المصنوع عند القدماء قد أسهم في توضيح القاعدة النحوية ، فلجأ صانع المثال إلى تطويع المثال الذي جلبه من واقعه الاجتماعي ليسهم في إيصال القاعدة النحوية إلى مريديها لتتواءم مع فهم المتعلم .

ومما يُعاب على المحدثين من أصحاب المصنفات النحوية نقلهم الحرفي لبعض الأمثلة من كتب النحو القديمة تلك الأمثلة التي كانت تتواءم مع الواقع الاجتماعي لذاك العصر الذي وردت فيه غير أنّها غير منسجمة مع الواقع الاجتماعي لهذا العصر . فعلى الرغم من أنّ بعضها يواكب العصر الذي نحن فيه إلا أنّ بعضها الآخر منقولٌ نقلاً حرفياً عن كتاب سيبويه وكأن لا يوجد إلا هذا المثال حتّى تتناقله الكتب النحوية كتاباً تلو الآخر فنجدهم عيالاً على سيبويه في توظيفهم المثال نفسه الذي جاء به للقاعدة النحوية نفسها ، وعدم الانتباه إلى الوقت الذي أتى به سيبويه بهذا المثال .

فعلى سبيل المثال تمثيلهم في موضوع ما ينوب عن المفعول المطلق بـ ((رجع القهقرى ، وقعد القرفصاء ، وجلس الاحتباء ، واشتمل الصمّاء))[٣٢]

فنجد أنّ هذا المثال كأنّه آية قرآنية لا محيد عنها ولم ننتبه أنّ سيبويه عندما جاء بهذا المثال جاء به من الواقع الذي يعيش فيه المتعلم ومن البيئة البدوية التي يعيش فيها . وهذا واضح من معرفة معنى الاحتباء وهو أن يضم الانسان رجليه إلى بطنه بثوب أو عمامة أو نحوهما [٣٣] وهو ما كان معروفاً في وقتهم آنذاك من جلسة الأعراب ، وكذلك القرفصاء وهو ضرب من القعود . وهي جلسة الأعراب أيضاً . إذن فهذه الجلسة معروفة في وقتهم أمّا اليوم فإذا ما استشهدنا بهذا المثال فقد أشكلنا على المتعلم ، وشكلنا عليه عبئاً وبهذا يخرج المثال عن الغرض الذي أوتي من أجله .

وإذا ما انتقلنا إلى موضوع التمييز نجدهم يستشهدون بالأمثلة ذاتها التي استشهد بها سيبويه فنجدهم يمثلون بالمقادير (عندي راقودٌ خلاً ونح سمناً وحُبٌّ عسلاً وعندي رطل زيتاً) [٣٤] وكذلك تمثيلهم بـ (لك قنطار عسلاً) و (اعط الفقير صاعاً قمحاً) [٣٥] .

وكأنّهم لم يلتفتوا إلى أنّ سيبويه عندما استشهد بمثل هكذا أمثلة إنها من الواقع الذي يعيش فيه أي أنّ هذه الموازين يستعملها المتعلم نفسه . أمّا إننا اليوم نعيد هذه الأمثلة من دون مراعاة للمتعلم في هذا الزمن ولا مراعاة للواقع الذي يعيش فيه إذ إنّ المتعلم والمعلم في الوقت نفسه لا يعلمون الكميّة التي تدل عليها هذه المقادير أو الموازين ؛ لأنّها غير مستعملة في زمننا . وهذا يوجب علينا أن نرجع إلى المعاجم لنعرف على ماذا تدل هذه الموازين ، ثم نشرحها ونوضحها للمتعلم لبيان المقصود منها ، وبعد ذلك نشرح القاعدة النحوية التي جيء بالمثال من أجلها لتوضيحها وتيسير فهمها . وهذا ما فعله بعض المحدثين أمثال مصطفى الغلاييني في كتابه (جامع الدروس العربية) عندما أعطى معاني هذه الكلمات لكي يعرف المتعلم أولاً المعنى الذي يحمله هذا المثال وهذا كما قلنا سابقاً ينافي الغرض الذي جئنا بالمثال من أجله . وكان الأجدر أن يبعد هذا المثال ، ويأتي بمثال يتواءم وطبيعة العصر .

وفي موضوع الاستثناء نجد المثال (ما فيها أحدٌ إلا حماراً)[٣٦] يتكرر في أغلب الكتب النحوية إذا لم نقل جميعها حتّى وصل حدّ الابتذال . لأنّ الطبع والذوق لا يستسيغ هذا اللون من التمثيل فكان الأجدر أن لا ينقل هذا المثال كما هو من الكتب القديمة لأنّ الحمار كان مألوفاً في وقته بل هو دابة عصره ، ويستسيغه الكبار والصغار أمّا اليوم فإننا نملك وسائط نقل أخرى غير الحمار ، ولا يستسيغ طالبنا أن نمثل له بمثل هكذا تمثيل ، لأنّه مدعاة للاستهزاء والسخرية .

وكذلك تمثيلهم بالإبل في قولهم ((موّتت الإبل))[٣٧] .

وفي مجيء صاحب الحال نكرة بلا مسوّغ يمثلون بـ(عليه مائة بيضاً)[٣٨] .

ولا يخفى أنّ هذا المثال كبقية الأمثلة متناقل عن الكتب النحوية القديمة وبالأحرى من كتاب سيبويه . ولا نريد أن نعيد ما قلناه ولكن الذي نريد قوله هو أنّ على النحوي أن يضع أمثلة مواكبة لعصره ، قريبة من الواقع الذي يعيشه المتعلم يألفها ، ويفهمها لتسهم في توضيح القواعد وتبسيطها .

رؤية نقدية

عوداً على بدء ذكرنا في بداية البحث إنّ وظيفة المثال المصنوع هو أن يوضح القاعدة النحوية بألفاظ بسيطة يفهمها المتعلم إذ أجمع النحويون واللغويون على أن وظيفة المثال المصنوع إيضاح القواعد وتقريبها إلى أذهان المتعلمين ، وقد حرصوا أن يذكروا ذلك في حدّ المثال النحوي وهو أن يكون المثال مفهوماً ليصل إلى فهم المستفيد إلا أنّ الكتب النحوية التي عنيت بهذا العلم لم تلتزم بهذا التزاماً دقيقاً وإنّما خرجت عن ذلك لتنقل الأمثلة كتاباً عن كتاب وبذلك فقد المثال شرطاً أساسياً من شروط نجاحه . فهذه الأمثلة ((هي التي وجدت في كتاب سيبويه ومن بعده جمدت وتحجرت ، وأصبحت تلاك على كلّ لسان عصراً بعد عصر ، ومؤلفاً إثر مؤلف))[٣٩] . وهذا سبب من أسباب عدم وصول قواعد النحو إلى مريدها ، وصعوبتها على متعلميها . مما يوجب النظر في هذا الموضوع ، ومحاولة إبداء الرأي في وسائل إصلاحه ، التي تكون سبباً في تيسير القواعد النحوية .

إذ إنّ التغيير والإصلاح والرقي في أيّ من العلوم على اختلاف مشاربها ينجح حينما يصدر ممن يغارون على ذلك العلم وينظرون إلى جوانبه بعين منصفة متأنية ، وهذا الحال ينطبق على علم النحو فإذا ما أردنا أن نسمو به يتوجب علينا أن نهضم ما خلّفه علماؤنا القدماء فنقف على مواطن إبداعهم ونشير إليها بوضوح ، ونستفيد منها ، ونوظف ملامح إبداعهم في رسم أسس معالجاتنا للغة وطريقة تيسير قواعدها وتعليمها لمريديها . أمّا ما لم ينسجم مع أفكارنا فنحاول البحث عن سبل لتعديلها بما يسنح به الفكر .

إذ إنّ المتقدمين الذين نقلوا بعض الأمثلة عن المتأخرين أمثال سيبويه لم ينتبهوا إلى أنّ هذه الأمثلة عندما قيلت في وقتها كانت تحاكي واقعهم الذي يعيشون فيه . وهذا الواقع تغلب عليهم حياة البداوة والصحراء ، ومثلما نعرف أنّ الحياة الصحراوية تعلّم أبناءها الجلادة والصلابة ومثل هكذا حياة يغلب على لغتها الجفاف وبتقدم الحياة يصيبها تطور ولا تبقى على هذه البداوة ، ولا بد مع هذا التطور أن يتطور كلّ شيء ومن ضمنها اللغة التي تواكب هذا المجتمع ؛ لأنّ اللغة تحاكي الواقع الذي يعيشون فيه إذ إنّ الحياة في مسيرتها تسير نحو التطور فكذلك اللغة لابدّ

أن تتطور فهي أشبه بالكائن الحي الذي ينمو ويتطور ، وهذا يوجب على أن تكون الكتب المؤلفة في تعليم قواعد اللغة مواكبة لذلك النمو والتطور فالحياة الصحراوية مالت نحو التمدن وهذا يتطلب من الألفاظ أنْ تميل نحو اليسر والسهولة . وهذا كلّه ينسحب على طبيعة المثال الذي ينتقل من اللغة الجافة إلى اللينة .

فالأمثلة التي وردت في كتاب سيبويه رسمت لنا صورة البيئة التي كانت عليها في ذلك الوقت في حين من جاء بعده لم يخرج عن أمثلة سيبويه إلا قليلاً . ولم يفطنوا أنّ سيبويه راعى في أمثلته واقعه وواقع المتعلم ؛ لأنّه أدرك بفكره الثاقب أنّ المثال كلّما كان قريباً من واقع المتعلم كلّما سهّل فهم القاعدة . ومعلوم أنّ المجتمع لا يمكن أن يبقى على وتيرة واحدة فهو يتطور وعلى هذا فإنّ المثال يجب أن يتطور كما تتطور بقية الأشياء في المجتمع لا أن يكون المثال في زمن والمتعلم في زمن آخر لأنّ هذا يشكل عبئاً على المتكلم وينتفي الغرض الأساسي الذي جئنا بالمثال من أجله .

وقد كان لعباس حسن رأي في المثال عندما تحدث عن عيوب المثال فقال لم يكن العيب بسبب التواء الأمثلة والإطالة فيها فقط وإنّما تعدى ذلك ((إلى نواحٍ أخرى بلاغية تتعلق باختيارهم الألفاظ مرددة وترتيب الجمل معادة مبتذلة وبتباعد الأساليب في صياغتها ومعناها عن الحياة القائمة فللنحاة في هذا كله منهج يتوارثونه ويلتزمونه ، ويحتفظون به))[٤٠]

فضلاً عن ذلك فقد رفض التكرار في الأمثلة فقال : ((فنجد في كلّ أمثلتهم زيداً وعمراً وخالداً وبكراً ، وضرب زيدٌ عمراً حتّى بلغت من الابتذال والهوان حدّاً بغيضاً منفراً))[٤١]

فلم تكتف الكتب النحوية بتكرار الأمثلة ذاتها وإنّما كانت الأسماء هي عينها التي استعملها القدماء فزيد وعمر هي المسميات ذاتها التي استعملتها الكتب القديمة وكأن لا توجد إلا هذه الأسماء ولا نعلم السرّ الكامن وراء اختيار مثل هكذا أسماء .

فكلّ هذا لا بدّ من إعادة النظر فيه ، ويتوجب علينا اختيار أمثلة مواكبة للعصر ، متوائمة وطبيعة المتعلم لا أن تبقى الأمثلة جامدة متحجرة لا تتطور ، ولا تواكب تقدم العصر .

فقواعد النحو اليوم يجب أن تتحلى بدعائم برهانية ، وأن تصاغ بلغة قادرة على الوصول إلى متلقيها ، وأن تنتقى الأمثلة التي توضحها من واقعنا الذي نعيشه ، مثلما صنع علماؤنا النحويون القدماء الذين جلبوا أمثلتهم من واقعهم فعبّرت أيّما تعبير عن تفاصيل واقعهم الاجتماعي وبدلاً من أن نستفيد من طريقة تفكيرهم هذه دأبنا على نقل تلك الأمثلة كما وردت في كتب الأقدمين مما أدى إلى أن تكون عقبةً كؤود في فهم القاعدة النحوية لأن العصور اختلفت ويتطلب أن تتجدد تلك الأمثلة لتلبس لباس العصر الجديد وتعبر عن واقعه .

وبذلك ندفع القصور الذي قد يلصق بكتب النحو القديمة ومؤلفيها ، ونُلقي به على المحدثين منهم ممّن أهملوا جانباً مهماً وسبيلاً من شأنه أن يسهم في تيسير القاعدة النحوية ألا وهو المثال الذي توضح به تلك القاعدة .

الهوامش :

---

(١) لسان العرب : ١٤ / ١٣٤ . ١٣٥ مادة (مثل) .

(٢) المصدر نفسه : ٤ / ٣٥٥ مادة (شهد) .

(٣) موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية (المعروفة بكشاف اصطلاحات الفنون) ٦ / ١٥٠ .

(٤) لم يكن لنا فيه تفصيل لوجود تفصيل له في كتاب : الشواهد والأمثلة النحوية (دراسة تحليلية تقويمية) : للدكتور كريم عبد الحسين حمود الربيعي ، الطبعة الأولى ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، بغداد ـ العراق ، ٢٠١٠ .

(٥) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ٤٨ .

(٦) المصدر نفسه ٤٩ .

(٧) المصدر نفسه ٤٨ .

(٨) ينظر : الكتاب ١ / ٤٤ . ، و المقتضب ٤ / ٨٨ . و اللمع ١ / ٦٥ . المفصل ١ / ٩٤ ، وشرح ابن عقيل ٣ / ١٦٥ ، وهمع الهوامع ٣ / ٤٦ .

(٩) ينظر : الكتاب ١ / ٢٠٦ . و ٢ / ٥٣ . و المقتضب ٢ / ١٦٣ . الأصول في النحو ١ / ٨٨ . و ٢ / ٣٨ . و الجمل في النحو ١ / ١٨٧ ، و علل النحو ١ / ٤٩٦ ، واللمع ١ / ٤٤ . العدد في اللغة ١ / ٥٠ .

(١٠) ينظر : المقتضب ٢ / ١٤٩ ، والأصول : ١ / ١١٣ . و ملحة الإعراب ١ / ٣٥ . و أوضح المسالك ٣ / ٨٩ ، و شرح قطر الندى ١ / ٢٩٣ ، و ١ / ٢٩٤ ، وشرح شذور الذهب ١ / ٥٥٠.

(١١) ينظر : الكتاب ١ / ٥٢ . و الأصول ٢ / ٤٩ . و المفصل : ١ / ٣٢٦ . و شرح شذور الذهب ١ / ٣٨٢ .

(١٢) ينظر : الكتاب ١ / ٣٩٢ . و ٢ / ٥١ . و٢ / ٨٢ ، و٢ / ٥٥ ، و ٢ / ٣٠٠ . و المقتضب ٤ / ١٦٤ ، و ٤ / ٢١٣ ، والأصول في النحو ١ / ٣٣٣ ، و ١ / ٤١٩ ، و٢ / ٣٩ و ٢ / ٣٨٠ ، و ٢ / ٤٢٨ ، و ومغني اللبيب ١ / ٩٠٨ ، وهمع الهوامع ٣ / ٢٢٢

(١٣) ينظر: الكتاب ١ / ٣٦٥ . و المقتضب ١ / ٢٨ ، و سر صناعة الإعراب ١ / ١٠ ، والمفصل ١ / ٥٦ ، وأوضح المسالك في ٢ / ٢٣٣ ، شرح قطر الندى ١ / ٢٦١ ، و ١ / ٢٤٧ ، وشرح شذور الذهب ١ / ٤٩٢ ، وأوضح المسالك ٢ / ٢٧٧ . و شرح ابن عقيل ٢ / ٢١٥ . وهمع الهوامع ٢ / ١٢٦ و ٢ / ١٦٤ ، ٣ / ١٧٨ .

(١٤) ينظر : الكتاب ١ / ١٣١ ، و الأصول ١ / ٣٢٣ ، و ملحة الاعراب ١ / ٢٩ ، و أوضح المسالك ٢ / ٢٣١ ، وينظر : همع الهوامع ٢ / ١٧٠ .

(١٥) ينظـر : الكتـاب ٢ / ٥١ ، و ٣ / ٧٩ ، و المقتضـب ٢ / ١٤٤ ، و ٣ / ٦٧ ، و ٣ / ٢٦١ ، و ٤ / ٤١٢ . وينظر الأصول في النحو ١ / ١١٤ و ١ / ١٩١ ، و ١ / ٢٩٩ .

(١٦) ينظر : الكتاب ٢ / ١١٢ ، و أوضح المسالك ٢ / ٣١٧ ، وشرح شذور الذهب ١ / ٣٢٥ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٦٣ ، وهمع الهوامع ٢ / ٣٠٤

(١٧) لسان العرب ٣ / ١٨٣ (رقد) .

(١٨) ينظر : الكتاب ٢ / ١١٧ ، و ٢ / ١٥٩ ، والمقتضب ٣ / ٢٥٩ ، و : اللمع ١ / ٦٥ ، و اللباب ١ / ٢٩٨

(١٩) لسان العرب ١١ / ٢٨٥ (رطل)

(٢٠) تهذيب اللغة ١٣ / ٢١٦ (رطل)

(٢١) ينظر : الأصول ١ / ٣٢١ ، وينظر : المفصل ١ / ٩٤ . ٩٥ ، وينظر : شرح قطر الندى ٢٣٩ ، وشرح شذور الذهب ٣٢٩ ، وهمع الهوامع ٢ / ٣٣٧ ، والفوائد العجيبة ١ / ٣٦

(٢٢) لسان العرب ١٥ / ٢٩٧ (مني)

(٢٣) ينظر : المقتضب ٤ / ١٢٩ ، الأصول ١ / ١٣٩ ، وينظر : المفصل ١ / ٤٤ ، وأسرار العربيـة ١ / ٨٣ ، واللبـاب ١ / ١٣٩ ، ومغنـي اللبيـب ١ / ١١٨ ، وأوضـح المسـالك ١ / ١٩٨ ، و ١ / ٢٠٣ ، وشرح شذور الذهب ١ / ٢٣٥ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٢٠٣ ، وهمع الهوامع ١ / ٣٦٩ ، و ٢ / ٣٢٤ .

(٢٤) لسان العرب ٥ / ٣٩٦ (قفز)

(٢٥) ينظـر الكتـاب ١ / ٤٠١ ، و المقتضـب ٣ / ٢٥٨ ، و الأصـول فـي النحـو ١ / ٣٠٧ ، واللمـع ١ / ٦٤ ، و مغنـي اللبيب ١ / ٦٥٦ ، وأوضـح المسـالك ٢ / ٣٦٥ ، وشـرح شـذور الذهب ١ / ٣٣٢ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٨٧ ، وهمع الهوامع ٢ / ٣٢٤ ..

(٢٦) أساس البلاغة ١ / ٢٣٦ (فرسخ)

(٢٧) ينظر : الكتاب ١ / ٤١٧ ، و المقتضب ٣ / ١٠٤ ، والأصول في النحو ١ / ٧٩ و ١ / ١٩٩ ، اللمع ١ / ٥٦ ، وينظر : الخصائص ٣ / ٢٢٢ ، وشرح شذور الذهب ١ / ٣٠٠ . و أوضح المسالك ٢ / ٢٣١ .

(٢٨) لسان العرب ٧ / ٧١ . ٧٢ (قرفص) ، وينظر : تاج العروس ١٨ / ٩٤ (قرفص)

(٢٩) مختار الصحاح ٣٧٠ .

(٣٠) ينظر : الكتاب ١ / ٣٥ ، وينظر : الأصول ١ / ٢٦٤ ، واللمع ١ / ٤٩ ، والمفصل ١ / ٥٥ ، وأسرار العربية ١ / ١٦٤ ، واللباب ١ / ٢٦٥ ، ومغني اللبيب ١ / ٥٣٨ .

(٣١) لسان العرب ٥ / ١٢١ (قهقر) ، وينظر : تهذيب اللغة ٦ / ٢٦٦ (قهقر)

(٣٢) جامع الدروس العربية ٤٥٥ .

(٣٣) ينظر : لسان العرب ١٤ / ١٦٠ (حبا) .

(٣٤) ينظر : جامع الدروس العربية ٦٨ ، ومعجم القواعد العربية ٤ / ٤٠ ، ٨ / ٣٠ .

(٣٥) ينظر : جامع الدروس العربية ٥١٣ .

(٣٦) ينظر : معجم القواعد العربية ٢٥ / ٣٩ .

(٣٧) جامع الدروس العربية ٢ / ٣٢ .

(٣٨) المصدر نفسه ٣ / ٦٧ . وينظر : معجم القواعد العربية ٧ / ٧ .

(٣٩) التطريز اللغوي ٢٠٣ .

(٤٠) اللغة والنحو بين القديم والحديث ٢١٧ .

(٤١) المصدر نفسه ٢١٧ . الهامش رقم ٢ .

قائمة المصادر

- أساس البلاغة : أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني . القاهرة ، ١٩٩١م .
- الأصول في النحو : أبو بكر بن محمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، الطبعة الثالثة ، مءسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : جمال الدين بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، دار الجيل ، ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م .
- تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية للنشر .
- التطريز اللغوي : الدكتور محمد خليفة الدناء ، الطبعة الأولى ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ١٩٧٧م .
- تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٠٠١م .
- جامع الدروس العربية : الشيخ مصطفى الغلاييني ، الطبعة الأولى ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .
- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت) .
- سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : الدكتور حسن هنداوي ، الطبعة الأولى ، دار القلم . دمشق ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت٧٦٩هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر . سوريا ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م .

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، لشركة المتحدة للتوزيع . سوريا ، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م .
- شرح قطر الندى وبل الصدى : عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الحادية عشرة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .
- الشواهد والأمثلة النحوية (دراسة تحليلية تقويمية) : للدكتور كريم عبد الحسين حمود الربيعي ، الطبعة الأولى ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، بغداد ـ العراق ، ٢٠١٠ .
- العدد في اللغة : علي بن اسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق : عبد الله بن الحسين الناصر ، و عدنان بن محمد الظاهر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م
- علل النحو : أبو الحسن بن عبد الله الوراق (ت ٣٨١هـ) ، تحقيق : الدكتور محمود جاسم الدرويش ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد ، الرياض . السعودية ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .
- الكتاب : أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت .
- اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد الإله النبهان ، دار الفكر . دمشق ، ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م .
- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (ت٧١١هـ) ، الطبعة الأولى ، دار صادر بيروت .
- اللغة والنحو بين القديم والحديث : عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٦ .

- اللمع في العربية : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق فائز فارس ، دار الكتب الثقافية ، الكويت ، د.ت .
- مختار الصحاح : أبو بكر الرازي (ت٦٦٦هـ) ، دار الرسالة ، الكويت ،١٤٠٣هـ ١٩٨٣ .
- معجم القواعد العربية : الشيخ عبد الغني الدقي (كتاب الكتروني من مكتبة مشكاة الإسلامية) .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ، تحقيق : الدكتور مازن المبارك و محمد علي حمد الله ، الطبعة السادسة ، دار الفكر . دمشق ، ١٩٨٥ .
- المفصل في صنعة الإعراب : أبو القاسم محمود الزمخشري ، تحقيق الدكتور علي بو ملحم ، الطبعة الأولى ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت .
- ملحة الإعراب : القاسم بن علي الحريري ، الطبعة الأولى ، دار السلام . القاهرة ، مصر ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٦م .
- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م .
- موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بـ(كشاف اصطلاحات الفنون) : الشيخ محمد بن أعلى بن علي التهانوي (ت١١٥٨هـ) ، بيروت ، د.ت .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوقيفية ، مصر (د.ت) .